فيه . وإذ كانت الوزارة قد خففت كثيراً من مثل تلك الفوضى بأعمال رقابة التعليم الحر فإن العيب لم يزل جسيماً ، ومجال التلاعب والعبث واسع عريض ، وممارســة التربية كفن صحيح سليم لا تكاد تتحقق فى هذه المدارس إلا فيما شذ وندر[1]

وقد تسأل بعد هذا عن تلك الأقوال الكثيرة التى تجنيها الجمعية من إعانة الوزارة ومصروفات التلاميذ ؟ وسأقول لك سل العمارات الشاهقة التى يبنيها المدير أو يفاوض فى شرائها . وسل المدرسين المساكين الذين يتناولون الأجر الضئيل ويشاهدون التضخم الهائل الشديد . وسل تلك الأبنية الرطبة القذرة التى يحشدون فيها التلاميذ بغير حساب !!

ثم ليت الوقت يتسع لأقص عليك طريف ما يحدث فى تلك الدور ، أو ليته يسمح بإخبارك أن الطلبة فى المدارس الثانوية الأهلية كالوحوش يرهبهم الناظر لأنه يبغى ما لهم ، ويخشاهم الأستاذ لأنهم لا يرهبون أحدا ؛ نعم ليته يتسع أو يسمح بذكر هاتيك المخازى الكثيرة التى أسمع عنها كل يوم هنا وهناك فحسبك اليوم ذلك ، وإلى اللقاء حيث أحدثك عن ناحية أخرى

(يتبع) محمد حسن ظاظا
مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

(١) والسر فى ذلك واضح . فغاية المدرسة هى الكسب لا التعليم ، وصاحب المدرسة يريد أن يستغل المدرسين والطلبة إلى أبعد الحدود . وكلما شعر المدرس بالظلم والارهاق احتقر صاحب المدرسة وتبرم بعمله وأداه على نحو ميكانيكى بحت . ولولا تدخل الوزارة أخيراً فى ضبط مرتبات المدرسين لظل أغلبهم لا ينال أجره كاملا

وأعتقد بعد هذا أن بعض المدارس التى تعطيها الحكومة إعانات سنوية تستطيع أن تستغنى عن هذه الاعانات تماماً بمصروفات التلاميذ ولكن مال الوزارة فيما يبدو كثير !

بين الرافعى والعقاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٣ —

ثم ماذا ؟ ثم يقول الأستاذ سيد قطب فى ثالث أدلته على أحكامه : « يقول العقاد فى طرافة ودُعابة عن حِسان شاطئ استانلى !!

ألقى لَهُن بقوسه قُزحٌ وأدبر وانصرفْ
فلبسْنَ من أسلابه شتى المطارف والطُّرفْ

فلا يجد الرافعى فى هذه الطرافة إلا أن يتلاعب بالألفاظ فيقول : فقزح لا يأتى قوسه أبداً إذ لا ينفصل منه . قال فى اللسان : « لا ينفصل قُزَح من قوس » . فاذا امتنع فكيف يقال : « أدبر وانصرف » . أما قزح العقاد ، فلعل الخواجه قزح المالطي مراقب المجلس البلدى على شاطئ استانلى الذى قيلت فيه القصيدة

ثم يقول إن هذا المثال « فيه تلاعب وروغان ، وهو فى هذه المرة (التلاعب) أخسُّ من السابقة ، ففى الأولى كان تلاعباً بصور ذهنية ، وهو هنا تلاعبٌ بألفاظ لغوية ! »

أولا ، فمن ذا الذي يغفُل عن طرافة هذا « الخيال » الذى يتصور « قُزحاً » ملقياً بقوسه لهؤلاء الحسان ، وهن يتناهبن هذه الأسلاب ، بينما هو مدبر منصرفٌ ، مغلوب على أمره ، لا يستطيع النصفة ممن غلبَ جمالهنّ جماله !

ألا تستحق مثل هذه الطرافة ، ومثل تلك الحيوية ! من الناقد إلا أن يذهب إلى القاموس أو اللسان ، ينظر هنالك ، هل ينفصل قوس عن قزح أو لا ينفصل ؟ ثم يكمل الكلام بتهكم بارد لا يرد على الفطرة المستقيمة فى معرض هذا الجمال ! !

أهذا هو النقد الذى هو « أقرب إلى المثال الصحيح » ؟ وماقلته فى المثال الثانى يقال بنصه هنا ، فلترجع إليه جماعة الأصدقاء

ثم يعود فيقول عن هذا المثال أنه يمثل « تلاعبه بالألفاظ اللغوية ، والوقوف بها دون ما تُشِمُّه فى الخيال من صور طريفة » انتهى كلام الأستاذ الجليل

* * *

ومن أعجب العَجَب أن يُعدّ اعتراض الرافعي ونقده هذا البيت تلاعباً بالألفاظ اللغوية ، ولا يكون هذا الشعر نفسه قد بُني على التلاعب في غير طائل ، وعلى تكلف اللفظ لترميم قافية البيت . وأول ما نقول في هذا أننا نخالف بعض رواة العربية ثم الرافعي في أن يلزم أحد هذا الحرفين صاحبَه على كل حالة وفي كل ضرب من ضروب القول

وبيان ذلك أن لأصحاب العربية في هذا الحرف (قُزَح) ثلاثة أوجه من الرأي :

الأول : أن (قُزَح) اسم شيطان ، أو اسم ملك موكل به

والثاني : أن (القُزَح) هي الطرائق والألوان التي في القوس ، والواحدة قُزْحة

والثالث : أن يكون من قولهم : قزح الشيء وقحزَ إذا ارتفع

قلت : وكأنهم أرادوا أن يجعلوه معدولا به عن (قازح) ، وهو المرتفع

ففي الوجه الأول لا يضير أن ينفصل الحرفان ؛ إذ كان (قوس) اسم جنس ، و (قزح) اسم علم بعينه ، وأضيف أحدهما إلى الآخر إضافة نسبة . فهو بمنزلة قولك (كتاب محمد) . ومن هنا جاز أن يبدلوا تسمية العرب الأوائل فقالوا له : « قوس الغمام » و « قوس السحاب » . ويقول ابن عباس رضي الله عنه : « لا تقولوا قوس قُزَح ، فان قزح من أسماء الشياطين . وقولوا (قوس الله) عز وجل . وعلى هذا يجوز قول القائل : « ألقى قُزح قوسه » باضافة القوس إلى ضميره . على أن الشيطان ، أو المَلَك الموكل بالقوس قد ألقى (قوسه)

وأما الوجه الثاني والثالث فلا يجوز الفصل معهما ألبتة على إرادة (الاسم) الذي تعرفُ به هذه الطرائق المتقوّسة التي تبدو في السماء . فان الحرفين على حالتهما ينزلان منزلة الكلمة الواحدة إذ ذاك . وللقول في هذا مجال ليس هنا مكانه ولا أوانه

ونحن نرى أن العقاد قد ذهب — وإن لم يرد ذلك — إلى الوجه الأول ، وأن شعره يحمل على رأي جائز في العربية

هذا ، وقد ذهب الرافعيُّ في نقد بيت العقاد إلى رأي أصحاب اللغة في امتناع الفصل بينهما ، وأن الحرفين كالكلمة الواحدة على تتابعهما . وعلى ذلك لا يقال « ألقى (قُزح) قوسه » وأولى إذن ألا يقال إن (قُزَح) أدبر وانصرف ، لأنه ليس بذاته يدُلّ على معنى ، أو يقع اسماً لشيء بعينه ؛ فهو إذن لا يجوز عليه الاسنادُ إسناد الخبر أو الفعل كالالقاء والادبار والانصراف. فأين التلاعبُ في هذا الرأي بالفظ اللغويّ ؟ ولو قد كان وقع في بعض كلام الرافعي فصل أحدهما عن الآخر لأمكن أن يقال إنه يتلاعب باللفظ ، ولكن ذلك لم يكن ... !

وأما الأستاذ العقاد فقد نقد رواية قمبيز في سنة ١٩٣٢ ، وجعل من ملاحظاته أن هذه الرواية « لم تخلُ من مخالفة للنحو والصرف في القواعد المنصوص عليها » ، وأتى في هذا الموضع من نقده بما خطأ فيه شوقي ، وليس بخطأ

يقول شوقي على لسان أحد المجان (ص ٣٢)

أَلِـقَـدَحا أَلِـقَدَحا الخمرُ تنفى التَّرَحا
قصراً أرى أم فَـلَـكا وشجـراً أم قُزَحا

ثم علق (شوقي) في الوجه (٣٢) نفسه فقال : « قالوا : إن قزح لا يفصل من قوس ، ولكن الناظم لم ير بأساً في فصله لسهولته وكفاية دلالته » انتهى . ونحن نجيز هذا في العربية ولا ننكره

قال ذلك شوقي في التعليق ، ثم جاء الأستاذ العقاد في كتابه (رواية قمبيز في الميزان) يقول ص ١٥ « ... ويقول (قُزَح) ولا تذكر قُزَح إلا مع قوس » . وبيّنٌ أن كلام الأستاذ العقاد ليس عربي العبارة ، فإن أصحاب العربية منعوا (فصل) قُزَح من قوس ، ولم يمنعوا (ذكر) قزح إلا مع قوس . والفرق بين اللفظين كبير . وبينٌ أيضاً أن هذا ليس نقداً فإن لم يأت بأكثر من تكرار ما ذكره شوقي في تعليقه ، وكان الوجه أن يبين فساد رأي (الناظم) إذ لم ير بأساً في الفصل للعلة التي ذكرها

ومع ذلك ... فقد كان نقد العقاد في يونيه سنة ١٩٣٢ ، ولم تمض ستة أشهر أي في يناير سنة ١٩٣٣ حتى فصل العقاد نفسه بين (قزح) وقوس في شعره هذا !! فلعل هذا أن يكون بالتلاعب بالألفاظ اللغوية أشبه ، وبتصريف النقد على الهوى أمثل .

وأما بيتا العقاد :

ألقى لهنّ بقوسه قزحٌ وأدبر وانصرف
فلبسن من أسلابه شتى المطارف والطرف

فقد بنيا على ألفاظ يدفع بعضها بعضاً عن معنى يولده — من

لفظ (القوس) التي هي من آلات القتال. وكان سبيل التوليد هكذا: القوس من آلات القتال، واستعيرت للطرائق في السماء مضافة إلى (قُزَح)، فيكون ماذا لو أنشأ من لفظ هذا القوس صورة للقتال بين (قُزَح) وبين جيلات شاطىء ستانلي؟ ويكون ماذا لو زعم أن الجيلات انتصرن على (قُزَح) صاحب القوس، فألقى سلاحه ثم أدبر وانصرف؟ ويكون ماذا لو جعل ألوان (قوس قزح) أسلاباً كأسلاب المحاربين في القتال ظفر بها الجيلاتُ بعد انهزام (قزح)؟ ويكون ماذا لو زعم أنهنّ اتخذن هذه الألوان مطارف وطرفا يلبسنها ويتحلين بها؟ وهكذا

وهو توليد كما ترى وتوليدٌ من لفظ واحد. ونحن لا نرى بأساً — وإن كنا لا نرتضيه — أن يأتي الشاعر بالمعاني مولدة من ألفاظ اللغة، فإن من بعض اللفظ في العربية لما يُضرم الفكر ويُـوْرث المعاني ويستفزُّ الخيالَ إلى أعلى مراتبه. على أن هذا لا يتحقق إلا أن تستقيم الطريقة للفكرة، ويتراحب المجال للمعاني، ويسمو المدى بالخيال، على أن تصحّ المقابلةُ بين معاني اللفظ وسائر الصور التي تتولد منه

والمقابلة في هذا الشعر فاسدة باطلة. فهي مقابلة بين (قزح) وبين الجيلات على شاطئ استانلي، ثم بين الطرائق المقوسة ذات الألوان في السماء (القوس) وبين ما ترتديه الجيلات من مطارفهن. وكان حق المقابلة أن يكون (قزح) هذا مشتهراً بالجمال موصوفاً به، حتى إذا ما ذكر في معرض الكلام عن الحسان الجيلات تمت المقابلة بينه وبينهن. فإن لم يكن ذلك كذلك، فلا أقل من أن يكون في الشعر ما يدل على سبب (حالة الحرب) التي أنشبها الشاعر بين حسان شاطئ استانلي، وبين العم (قزح)، ثم ما كان من علة لالقاء سلاحه ثم انهزامه وإدباره

فأما إذ لم يكن (قزح) جيلاً، ولم يأت الشاعر بسياق جيد لهذا التوليد، فقد بطلت الأفعال التي أسندها إلى (قزح) من إلقاء قوس وإدبار وانصراف، وما أضافه إليه من الأسلاب، وصار كله لغواً لا فن فيه. وهذا الضرب خاصة من ضروب الشعر الذي يتضمن التصوير والوصف لا يأتي جيده إلا على دقة الملاحظة، وتقدير النِّسب بين الألفاظ والمعاني والصور. فلو اقتصر الشاعر لجعل (قزح) يهدي إلى الحسان تحاسين قوسه، فاتخذن منها (شتى المطارف والطرف) لكان أجود وأقرب إلى الاتقان. أما إعلان الحرب بينهما فليس جيداً ولا براعة فيه كما رأيت

وقد أجاد ابن الرومي — ويقال إنها لسيف الدولة — إذ يقول:

وقد نشرت أيدي الجنوب (مطارفاً)
على الجو دُكناً، والحواشي على الأرض
يطرِّزُها (قوس السحاب) بأصفر
على أحمر في أخضر وَسْط مُبْيَضِ
كأذيال خـودٍ أقْـبَلَتْ في غـلائل
مُصَبَّغَـةٍ والبعض أقصر من بعض

وهو قريب جيد في الوصف

ونحن لا نذهب مع الأستاذ قطب فيما يتخير من اللفظ لوصف هذا الشعر وما فيه، يذكر (الطرافة) و(الدعابة) و(الخيال) و(الحيوية) و(معرض الجمال)، وما إلى ذلك من ألفاظ لو أقيم ضدها مكانها لقام، إذ كان لا يبين أسبابها ولا يوجه معانيها ولا يأتي كلامه في مثل ذلك إلا على طريقة صاحب كتاب (الوشي المرقوم في حل المنظوم) إذ يقول: « أولا فنذا الذي يغفل عن طرافة هذا « الخيـال » الذي يتصور « قزحاً » ملقياً بقوسه لهؤلاء الحسان ... الخ »

وقد وضح الآن أن ليس في كلام الرافعي تلاعب بالألفاظ اللغوية، وأنه ليس في هذه الألفاظ ما يجعلها « تشع في الخيال صوراً طريفة »، وذلك لما ذكرنا من تخالف ألفاظها وتدافعها وبُعد صورها عن جودة التوليد، إذ كانت هذه الصور مولّدة من اللفظ على غير نسق متصل أو طراز جميل

ثم.. أتى الأستاذ قطب بالمثال الرابع فقال: « ويسمع العقاد صيحات الاستنكار لهو الشواطئ، وما تعرض من جمال، فيصيح صيحة الفنان الحي المعجب بالحيوية والجمال:

عيـد الشباب، ولا كلا م، ولا ملام، ولا تَحرف

فاذا الرافعي يقول: « إن غاية الغايات في إحسان الظن بأدب العقاد أن تقول إن في هذا البيت غلطة مطبعية، وأن صوابه:

عيـــد الشباب، فلا كلا م، ولا ملام، (بلا قرف)!

ثم يقول بعد إنـ هذا المثال يغنيه الرافعي عن الحديث فيه

« فهو لم يزد على أن أورد البيت ، ثم استغلق دون استيعاب ما يعبر عنه من روح الفنان الحي، الموكل بالجمال حيثما وجد، وكيفما كان ، الهازئ بخرف التقاليد ، وقيود العُرف ، ولم يجد ما يقوله إلا « بلا قرف » وهو قول لا تعليق لنا عليه »

ثم يعود فيقول : إن هذا يمثل هروب الرافعي « من مواجهة النقد الصحيح إلى المراوغة وكسب الموقف — في رأيه — بنكتة أو تهكم أو شتيمة »

وأنا لا أعجب لكلام الأستاذ سيد قطب ، لأنه على طريقته في حل المنظوم ، وإن أعجب فعجبي لصاحب « وحي الأربعين » كيف ارتضى أن يثبت البيت في قصيدته ، وفي عقب هذه القطعة بالذات ، وينتقل من الوصف والتأمل وإمتاع النظر ، وإمداد الفكر بأسباب من الجمال ، أو كما يقول الأستاذ قطب من الطرافة والدعابة والخيال والحيوية ! إلى صيحة الاستنكار والتفزع بقوله: « فلا ملام ولا كلام » ثم الغضب الذي لا يتورع في قوله : « ولا خرف ». إن هذا الانتقال ليس من منطق الفن ولا من نهجه وسبيله

وما أظن الرافعي أراد أن ينقد البيت — لأنه ليس بسبيل مما يحسن أن يُنقد ، وإنما وضعه هكذا للعقاد وهو يريد ما قلناه في كلمتنا الأولى مما جرّته العداوة التي اضطرمت بينهما

* * *

وبعد فقد قرأت كلمة الأستاذ الجليل المهذب سيد قطب في البريد الأدبي من العدد السالف من الرسالة ، وقد أعلن فيها بعض رأيه فيما نكتب ، وحكم بحكمه على ما قلناه ، وحاول أن يتهكم ، ووعظ وذكر . ونحن ندعه لما به عسى أن يرى يوماً غير هذا الرأي، وله الشكر أحسن أو أساء

محمود محمد شاكر

البديل

قصة جديدة

للأستاذ محمود تيمور

تنشرها الرواية في عدد أول يونيو

بين العقاد والرافعي

للأستاذ سيد قطب

— ٤ —

الآن تحدث الأستاذ شاكر — حديثاً ما — في الموضوع الذي نحن بصدده ، وإن كان حديثاً « رافعيا » على الطريقة التي بينت مافيها من استغلاق وقصور، ولكنه على أية حال شيء غير اللمز والتعريض — وإن لم يخل منهما — فالآن يستطيع الانسان أن يلتفت بباله إلى هذا الذي قيل

ولما كانت لي بقية من حديث عن الرافعي، فسأجعل تماشي مع الأستاذ شاكر ، بقية لهذه البقية في كلمة أخرى

وعدت أن أعرض من أساليب الرافعي نماذج غير ما عرضت تأخذ في نهج آخر ، ولكنها تصل إلى الهدف الأول ، من إثبات طبيعته كما عرفتها ، بالنماذج والأمثلة

وأنا ماض في طريقي هذا ، لا يحولني عنه ما يبدو من بعض أصدقاء الرافعي من تعريض أو إثارة ؛ ولن يستفزني ما يكتبون فأحيد عن نهجي الهادئ

وطريقتي في هذا الموقف أن الرافعي قد مات ، وله نوع من الأدب ، فسأناقش أدبه هذا ، وما يدل عليه من نفسه وذهنه نقاش الناقد المطمئن لما يقول

وله أصدقاء أحياء ، فسأناقشهم حسبما يكونون هم : نقاداً أو متهجمين . ولن أخلط بينه وبينهم في الحساب ، فلا ذنب للرجل فيهم ، ولا تبعة عليه بعد موته فيما يصنعون !

تلك طريقتي . وهي ترضيني ...!

* * *

قلت : إن الرافعي أديب الذهن ، ولكنه الذهن الملتوي المعاظل المداخل . واليوم أقول هذا ، وأزيد عليه : أنه « الذهن الشكلي » الذي تلهيه الأشكال والسطوح عن الكنه والأعماق ، والذي لا يلمح فرقاً بين صورة وصورة ، ما دام ظاهرهما متشابهاً . فإن أراد أن يطبق أمراً على أمر ، أخذ في قياس الزوايا والخطوط ولم يلق باله لحظة إلى ما في طبيعة كلا الأمرين من خلاف أو زيادة ونقص في بواطن الأجزاء . وإليك البيان :